

لماذا الجهاد؟:

خلق الله الخلق لعبادته (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وانقسم الخلق إلى قسمين: منهم من آمن به ومنهم من كفر (فريق في الجنة وفريق في السعير. ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة، ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير). وجعل بعضهم لبعض فتنة (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أنصرون). قال الله تعالى في الحديث القدسي: "إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك" {رواه مسلم عن عياض بن حمار}. {المؤمن يفتن بالكافر (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم).

وقد أمر الله المؤمنين دعوة الكافرين إلى الهدى والحق فمن أبي وأعرض أمر الله بقتاله حتى تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله. قال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله". {متفق عليه}. وقال: "بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له" {صحيح رواه أحمد عن ابن عمر}. فالجهاد أمر شرعي رباني لتحقيق دين الله في الأرض ولتزول الفتنة (الشرك) من الأرض، وحتى لا يبقى سلطان في هذا الوجود إلا سلطان الله (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله).

والجهاد هو هوية المسلم في وجوده. قال صلى الله عليه وسلم: "والجهاد ذروة سنام الإسلام". وقال الله عز وجل في الحديث القدسي مخاطباً محمداً صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك -إلى قوله- استخرجهم كما أخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسنفق عليك، وابعث جيشاً نبعت خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك" {رواه مسلم من حديث عياض بن حمار}. وبالجهاد يتميز الناس إلى صفوف؛ صف أهل الإيمان والتوحيد، وصف الكفر وأهله، وصف الخذلان والنفاق. قال تعالى: (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فياذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، والله أعلم بما يكتبون).

من نقاتل؟:

قال علي رضي الله عنه: بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف:

١- سيف المشركين: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين. وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم. إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين. فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم).

٢- سيف أهل الكتاب: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب).

٣- سيف البغاة: (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي).

٤- سيف المنافقين: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم). {ابن كثير}

لماذا طوائف الردّة التي تحكم بلاد المسلمين قبل غيرها؟:

مع ماتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعدة أسياف ومناطق الجهاد هو (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) إلا أننا نعتقد أن قتال طوائف الردّة مقدّم على قتال غيرهم من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، وذلك لأسباب عدّة:

١- أنهم أقرب إلينا من غيرهم: قال تعالى: (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) {التوبة}. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليهم مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا، شرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب". قال ابن قدامة: مسألة: "ويقاتل كل قوم من يليهم من العدو لأن الأقرب أكثر حرزاً، وفي قتاله دفع ضرره عن المقابل له وعمّن وراءه، والإشتغال بالبعيد عنه يمكنه من انتهاز الفرصة في المسلمين لإشتغالهم عنه" {المغني مع الشرح الكبير - ج ١٠ ص ٣٧٣، ٣٧٢}

٢- لكون المرتد أولى بالقتال من الكافر الأصلي: قال تقي الدين ابن تيمية: "وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة منها: أن المرتد يقتل بكل حال، ولا يضرب عليه جزية، ولا تعتقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي، ومنها أن المرتد يقتل وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي" {مجموع الفتاوى ٢٨ ص ٥٣٤}. وقال أيضاً: "وكفر الردّة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي" {٤٧/٢٨}. وقال أيضاً: "والصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين" ثم قال: "وحفظ رأس المال مقدم على الربح" {١٥٩، ١٥٨/٣٥}

٣- أن قتالهم من جنس قتال الدفع: قال ابن تيمية: "فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان" {الفتاوى الكبرى ٤/٦٠٨}. وهذه الطائفة لا يرى منها في بلاد المسلمين إلا إفساداً للدين بنشر الفاحشة وترويج الرذيلة، وتزيين الكفر، ومطاردة الدعاة، ولا نرى منهم إلا إفساداً للدنيا فنشروا الفقر، وباعوا مقدّرات الأمة من خيرات الله فيها إلى أعدائها، وربطوا حياة الشعوب بما يستورد من مفاصد الغرب من شؤون الحياة.

٤- ولما كان الأمر الشرعي مطابق للأمر القدري، فإننا نرى أنه لم يصبح للكافرين على المسلمين سبيل إلا بحبل هؤلاء المرتدين، فمن الذي مكّن لليهود في فلسطين، فكانت قوّاتهم وطوائفهم لا عمل لها إلا حماية هذا الكيان المسخ، ومن الذي جعل لقوات الكفر والشرك وجوداً في بلاد المسلمين على شكل عساكر وجنود وأسياداً للمال والحياة، إنهم بلا شك قادة الردّة وطوائفهم.

حكم قتال طوائف الردّة في بلاد المسلمين:

١- إذا ارتدّ الحاكم وجب على المسلمين جميعاً من غير ذوي الأعذار الشرعية خلعه والخروج عليه، وهذا الحكم قد أجمعت عليه طوائف أهل السنة بلا مخالف يُعلم: قال ابن حجر عند شرحه لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه حيث يقول: "دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفراً بواحا، عندكم من الله فيه برهان". قال ابن حجر: "وملخصه أنّه ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك" {فتح الباري ١٣-١٢٣}